

ولكن نجاح كتاب جماهيرياً يمكن أن يتجلى في مظهرين: إما بعدد القراء أو بنسبة مبيع الكتاب. والأمران ليسا متلازمين. هناك القارئ المتذوق وهناك القارئ المستهلك وقد يفوق عدد المتذوقين أضعاف أضعاف عدد المستهلكين كما أن ليس جميع المستهلكين من عشاق المطالعة. فكم من الناس يشترون الكتب ويقتنونها لمجرد تكوين مكتبة تضم «الثلثين» (الغالي الثمن) من الكتب. وبين الناشرين من يملكون الحس التجاري فيضفون على كتاب ما مشوقات تجتذب هؤلاء الهواة كأن يطبع على نوع من الورق الفاخر أو يحمل أرقاماً معينة أو توقيع صاحبه أو رسوماً بالألوان لفنان معروف، فتدور هذه «الطبقة» من المؤلفات في إطار ضيق لما تتميز به من مواصفات «فنية» وقد تتسع دائرتها إذا ما تعرت من هذه الميزات.

وتلعب دوراً مهماً في المطالعة الظروف التي تتم فيها. وهذه الظروف مشروطة بطبيعة الحال بنوع الكتب، وطبقات القراء، وتوفر الوقت لديهم وتوفر أماكن المطالعة العامة أو الخاصة.

خاتمة

عندما اعتزمتُ ترجمة هذا الكتاب، لم أكن أدرك لأول وهلة أهميته. غير أنني بعد أن ألفت قراءته وعدت إليه مراراً، رأيت عالماً جديداً يفتح أمامي في حقل الدراسة الأدبية: الأدب في المجتمع أو علم الاجتماع الأدبي. وتتجلى أهمية هذا الموضوع من ملامح الشمولية التي يتصف بها في معالجة قضية الأدب أخذاً بالقضايا الكبرى والدقائق الصغرى التي تتصل برکائز هذا الفن الثلاث: الكاتب والأثر والقارئ، متناولاً إياها، ليس في ظواهرها الفردية بل في مضامينها وأبعادها الاجتماعية.

وإذا كان إسكاربيت نفسه يقول إنه يعني نواقص الكتاب وصفته البيانية وكأنه تصميم، فهذا لا ينقص من قيمة الكتاب في ذاته، هي التي أراها جليلة من ناحيتين: أولاهما الموضوع بذاته، إذ أضفي على الأدب، أي أدب، صفة الاجتماعية من حيث